**أ/ رقاني أيوب جامعة قسنطينة 3**

**مقدمة:**

ليس الفيلم الروائي وحده هو السينما، بل هناك نوعا اخر من الأفلام، يطلق عليه الفيلم التسجيلي، الذّي واكب السينما مع بدايات ظهورها، والفيلم التسجيلي عالم زاخر بالجمال، عالم ساحر في كشف الحقيقة الموضوعية كما انّه لا يحتاج إلى ممثلين ولا ديكور، بل يحتاج إلى عين واعية، وثقافة حياتية وأدبية وفنية متنوعة، مضاف إليها منهج إنساني أصيل في التفكير، يتعامل بمهارة مع هذا الواقع الزاخر بالحياة.

تأسيسا على ما سبق، تأتي ورقتنا هذه لتسلط الضوء على **مقاربة مفاهيمية عامة** عن الفيلم التسجيلي بغرض التعمق في فهمه، وعليه نثير المشكلة البحثية التالية:

**ماهي أهم المداخل المفاهيمية للفيلم التسجيلي، وماهي أهم خصائصه وسماته؟**

قصد تحليل إشكاليتنا نتدرج في عرض ورقتنا هذه، في أربع محطات ندرجها على التوالي:

**المحور الأول**: قراءة في مفهوم الفيلم التسجيلي: الدلالات، والتطور التاريخي.

**المحور الثاني**: خصائص ومنهج الفيلم التسجيلي.

**المحور الثالث**: سمات الفيلم التسجيلي الفنية.

**المحور الرابع**: وظائف الفيلم التسجيلي.

**المحور الأول: قراءة في مفهوم الفيلم التسجيلي: الدلالات، والتطور التاريخي.**

1. **مفهوم الفيلم التسجيلي**:

كان "جون جريرسون" المفكر السينمائي وأحد رواد هذا النوع، هو أول من أطلق عليه تعبير  Documentary Film". وكان سعد نديم أحد رواد نفس هذا النوع فى السينما المصرية، أول من ترجم هذا التعبير بالعربية إلى " الفيلم التسجيلي"، على أساس أن تسجيل الواقع هو سمه هذا النوع،  وأنتشر التعبير فى الأدبيات المصرية. وعندما تأسس في مصر مثلا مركز لإنتاج هذه الأفلام أطلق عليه " المركز القومي للأفلام التسجيلية والقصيرة". وهناك أيضا "مهرجان الإسماعيلية الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة"  الذي يواصل دوراته حتى الآن بهذه التسمية امتداد للمهرجان القومي للأفلام التسجيلية الذي بدأ 1970. وآخر الكتب التي صدرت منذ عامين عن تاريخ هذه الأفلام يحمل عنوان " السينما التسجيلية فى الوطن العربى"، تأليف أحد أعمدة السينما التسجيلية المصرية محمود سامي عطا الله.  
غير أن أبناء المشرق العربي يفضلون ترجمة المصطلح بعبارة " الفيلم الوثائقي". ولعلهم في ذلك يرون أن سمة التسجيلية لا تقتصر عليه وحده حيث أن الفيلم الروائي لا يمثل عرضا حيا وإنما يتم عرض أحداثه بعد تسجيلها على شريط، فهو فيلم مسجل أيضا. وأنتشر مصطلح الوثائقى وبات يغزو الأدبيات العربية عامة، وخصوصاً بعد ظهور القناة الفضائية " قناة الجزيرة الوثائقية.  
ولعل أرتباط هذا النوع بالوثائقية يرجع إلى إعتمادة على تصوير الواقع باعتبارة وثيقة حيه على صدق القضية التى يطرحها، فضلا عن أستخدام الوثائق المعترف بها، غير أن الفيلم الروائى الآن لا يقل أهمية فى نظر بعض المؤرخين بأعتبارة وثيقة فنية للمرحلة التى أنتج فيها.[[1]](#footnote-1)

يعني في الاصطلاح الفرنسي Film Documentaire، أن الفيلم وثيقة عن المكان، أو الحدث، أو الشخص الذي يتناوله، ولهذا يفضل البعض ترجمته إلى الفيلم الوثائقي بدلاً من الفيلم التسجيلي.

أما المفهوم الإنجليزي لهذا النوع من الأفلام التسجيلية الوثائقية Documentary Film فلا يكتفي الفيلم بتسجيل الحقيقة وحدها، وإنما يضيف إليها الرأي أيضاً.

أصدر الاتحاد الدولي للسينما التسجيلية في عام 1948، تعريفاً شاملاً للفيلم التسجيلي جاء فيه: "كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة، يعرض إما بوسائل التصوير المباشر، أو بإعادة بنائه بصدق، وذلك لحفز المشاهد إلى عمل شئ، أو لتوسيع مدارك المعرفة والفهم الإنساني أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد، أو الثقافة، أو العلاقات الإنسانية".

وكان أول من استخدم مصطلح الفيلم التسجيلي هم الفرنسيون حين أطلقوه على الأفلام السياحية. وفي عام 1926 قام رائد السينما التسجيلية في العالم، جون جريرسون باستخدام مصطلح السينما التسجيلية، وهو يستعرض فيلم "موانا"، الذي أخرجه شاعر السينما التسجيلية روبرت فلاهرتي، الجوالة السينمائي الذي حمل كاميراته لتصوير حياة الناس اليومية في الأصقاع النائية ، فقدم دراسات كاملة بالكاميرا عن حياة الإسكيمو، وعن حياة السكان في البحار الجنوبية.[[2]](#footnote-2)

كمحصلة نستنتج أن، الجدل لازال قائما حتى وقتنا هذا حول تعريف محدد دقيق للفيلم التسجيلي أو الوثائقي Documentary فالمبدعون والمنظرون لا يتفقون على تعريف واحد... فالبعض برى أن الفيلم الوثائقي يعني (الفيلم الحقائقي)... بمعنى أنه يعرض الحقائق ويقدم تفسير خلاق للمواد الواقعية.   
والبعض بفضل التعبير عنه بكونه (فيلم غير خيالي) ... وهذا ما يفرقه عن الأفلام الروائية الخيالية... حيث أن الأفلام الوثائقية أو التسجيلية تعالج الواقعي وليس الخيالي... والناس والأماكن والأحداث الحقيقية وليست المتخيلة كما في الأفلام الخيالية Fiction Film... وهذا بالطبع هي أهم خصائص الفيلم الوثائقي، أما بالنسبة للأفلام الخيالية... فالتوثيق فيها يكون متضمنا في عالم السرد الفيلمي... ومهما كان واقع الفيلم مقنعا ... فإننا دائما نكون مدركين بداخلنا أننا أمام فيلم... قصته متخيلة وكذلك أحداثه متخيلة ومصنوعة من قبل المبدع، ودور المبدع هنا أن يتقبل الجمهور الحقيقة الرمزية لأحداثه وشخصياته الفيلمية.[[3]](#footnote-3)

1. **نبذة تاريخية عن الفيلم التسجيلي:**

لقد استخدم الفرنسيون مصطلح "Le film documentaire"، منذ ظهور اختراع "لويس لوميير" لجهاز التقاط  وعرض الصور السينمائية المتحركة سنة 1895. كان ذلك في البداية لتصوير فيلم الرحلات، حينها كان المصورون يقومون بذلك بهدف توثيق أوجه نشاطهم، وتسجيل مشاهداتهم، لإعادة عرضها على الأهل والأصدقاء من قبيل التذكار. بينما تعتبر سنة 1923 المرة الأولى التي استعمل فيها مصطلح أو مفهوم الوثائقي، وذلك للتعبير عن كل فيلم يستمد مادته من الوثائق المأخوذة من الواقع.  
منذ بداية سنة 1949، تم استخدام مصطلح  "Documentariste" (الوثائقي) وهو الاسم الذي يطلق على السينمائي الذي يخرج أفلاماً وثائقية. وقد اعتبرت هذه السنة "1949"، السنة التي انتشر فيها الفيلم الوثائقي بشكل كبير، وظهرت العديد من الأفلام الوثائقية التي تروي قصصاً، وأحقاباً تاريخية، وبدأ بعدها الفيلم الوثائقي يأخذ أبعاده كعلم مستقل بذاته، وكفن له مبدعوه.  
كما سمي الفيلم الوثائقي عبر مراحل تطوره بالفيلم التعليمي وبالفيلم العلمي وكذلك بالفيلم التدريبي لتتم تسميته في ما بعد من قبل جريرسون كما سبق وذكرنا بالفيلم الوثائقي "Documentary Film".[[4]](#footnote-4)

**المحور الثاني: خصائص ومنهج الفيلم التسجيلي.**

1. **خصائص الفيلم التسجيلي:**

وقد حدَّد جون جريرسون للفيلم التسجيلي ثلاث خصائص، لا بد من توافرها لكي يصبح الفيلم تسجيلياً حقيقياً وهي:

أ- اعتماد الفيلم التسجيلي على التنقل، والملاحظة، والانتقاء من الحياة نفسها، فهو لا يعتمد على موضوعات مؤلفة وممثلة في بيئة مصطنعة كما يفعل الفيلم الروائي، وإنما يصوِّر المشاهد الحيةّ، والوقائع الحقيقية.

ب- أشخاص الفيلم التسجيلي ومناظره يختارون من الواقع الحي، فلا يعتمد على ممثلين محترفين، ولا على مناظر صناعية مفتعلة داخل الأستديو.

ج- مادة الفيلم التسجيلي تختار من الطبيعة رأساً، دون ما تأليف، وبذلك تكون موضوعاته أكثر دقة وواقعية من المادة المؤلفة والممثلة.

د- الخصائص الحسية السمعبصرية للفيلم التسجسلي forum:

تصل المادة التلفزيونية المعروضة على الشاشة إلى المشاهد عبر حاستي البصر والسمع..ويستمد الفيلم التسجيلي التلفزيوني خصائصه السمعبصرية من المكونات الأساسية الثلاثة للتلفزيون كوسيلة إعلام جماهيرية..وهي: الصورة، والصوت، والحركة...[[5]](#footnote-5)

1. **منهج الفيلم التسجيلي:**

أي شيء يصور أو يسجل على السليولويد لا يكون له معنى حتى يصل إلى منضدة المونتاج ، وأن المهمة الأولية للإبداع السينمائي تكمن في المنبهات المادية والعقلية التي يمكن أن يقدمها من يقوم بالمونتاج . فطريقة استخدام الكاميرا والعديد من حركاتها وزوايا الرؤية بالنسبة للأشياء التي تصور والسرعة التي تظهر بها الحوادث بل وحتى ظهور الأشخاص والأشياء أمامها ، كل هذا تهيمن عليه الطريقة التي ينجز بها المونتاج ، وينطبق هذا تماما على الصوت ، ومثل هذا المنهج يتضمن أن عقلا واحدا يتحمل مسئولية شكل [الفيلم](http://www.forum.topmaxtech.net/t348.html)الكامل ومعناه ، ويجري عملية المونتاج ، كما يقوم في بعض الحالات بالتصوير، وذلك حال لا يلائم مناهج الإنتاج الواسع النطاق بتات.

وفي هذه الحدود حدث تحول بعيد عن التقاليد المسرحية إلى ميادين الواقع الواسعة، حيث اعتبرت تلقائية السلوك الطبيعي خاصية سينمائية ، واستخدام الصوت بطريقة خلاقة استخداما ترديديا ، وهذا هو الأساس الحرفي للفيلم التسجيلي بلا شك.[[6]](#footnote-6)

**المحور الثالث: تصنيفات والسمات الفنية للفيلم التسجيلي:**

* **تصنيفات الأفلام التسجيلية:**

تعددت تقسيمات الفيلم الوثائقي. فقد قسمه جون جريرسون إلى مستويين: المستوى الأعلى الذي يكون فيه صانع الفيلم قادرا على التحليل والخلق، المستوى الأدنى الذي فيه كل الصحف والتقارير. في حين يقسم سوتيزوود الفيلم الوثائقي إلى أفلام الطليعة والمعايشة والرسوم المتحركة والأفلام النقاشية والتحريرية والتعليمية. أما "إيفالينا نورجليسكا" فيقسم الأفلام الوثائقية إلى التقرير والجرائد والمجلات السينمائية وفيلم المقالة والتحريض.[[7]](#footnote-7)

* **السمات الفنية للفيلم التسجيلي:**

**الفيلم التسجيلي هو شكل مميز من الإنتاج السينمائي يتميز بما يلي:[[8]](#footnote-8)**

* يعتمد أساسا على الواقع في مادته وفي تنفيده، بمعنى أن يكون تسجيلا واقعيا لأحداث وقعت بالفعل، لا تحتاج إلى ممثلين لأداء أدوار معينة، ولكن مع نفس الواقع التي تقع فيه الأحداث.
* لا يهدف إلى الربح المادي، بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف خاصة في النواحي التعليمية، والثقافية، أو حفظ التراث، أو التاريخ.
* يختلف عن الفيلم الروائي من حيث هدفه المادي، فالأفلام التسجيلية غالبا ما تنتجها الدول لمعرفتها بأهمية إنتاج مثل هذه الأفلام التي بالرغم من أهميتها، فهي لا تدر أرباحا على منتجيها، بخلاف الأفلام الروائية التي يكون أغلب إنتاجها هدفه تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح.
* يتسم عادة بقصر زمن العرض، حيث يتطلب درجة عالية من التركيز أثناء مشاهدته، ومن الملاحظ دائما أن يكون إنتاج الأفلام التسجيلية لا يزيد في أغلبها عن 20-30-45دقيقة على الأكثر، وذلك نظرا لأن إنتاج مثل هذه الأفلام يكون موجها إلى نوعية معينة من الجماهير، يحمل لها الأهداف الخاصة.
* يخاطب في العادة فئة أو مجموعة مستهدفة من الجماهير، وأثناء الإعداد لإنتاج فيلم من الأفلام التسجيلية يحدد الجمهور المستهدف لهذا الفيلم، وعلى أساس خصائصهم يكون أسلوب المعالجة، وحجم ونوعية المعلومات، وكيفية تناولها وتقديمها، والمستوى اللغوي للتعليق المصاحب للفيلم، أو الحوار القائم بين شخصياته.
* يتسم بالجدية وعمق الدراسة التي تسبق إعداده، وشعار الفيلم التسجيلي، "السينما رسالة وفن وعلم".

**المحور الرابع: وظائف الأفلام التسجيلية:**

تؤدي الأفلام التسجيلية عددا من الوظائف الهامة في مجال التعليم والإعلان والتسجيل التاريخي والدعاية من أجل تحقيق هدف أو غرض معين نذكر منها:[[9]](#footnote-9)

* **الوظيفة الإعلامية**: تعد وظيفة الإعلام في الأفلام التسجيلية وظيفة مهمة تهدف إلى شرح المعلومات وتفسيرها وتعريف الإنسان بالبيئة المحيطة به.
* **الوظيفة الدعائية**: تعد الأفلام التسجيلية من الوسائل المهمة في مجال الدعاية وترويج المعلومات، ومن هذه الناحية يحقق الفيل التسجيلي على المستوى الداخلي أهدافا كثيرة تهدف السياسة الحكومية إلى نشرها بين صفوف الناس ويقوم بدور مهم في تجسيد دور الحكومة ومؤسسات الدولة وإبراز إنجازاتهم في مختلف المجالات، ومن ثمّ تكوين راي عام مؤيد ومتعاطف مع أهداف الحكومة ومشاريعها.

أما على المستوى الخارجي، أي الإعلام الدولي، حيث أن الأفلام التسجيلية تصل إلى أنحاء العالم كافة والسبب يعود إلى كون الأفلام التسجيلية تعتمد بشكل أساسي على الصوت والصورة وعرض الواقع، لذا يستخدم الفيلم التسجيلي في الدعاية السياسية والاقتصادية والإجتماعية.

* **الوظيفة التعليمية**: تستخدم الأفلام التسجيلية استخداما فعالا في مؤسسات التربية والتعليم، اذ تستخدم في مجال تعليم الطلبة وتزويدهم بكثير من المهارات والمعارف الجديدة وتساهم في إثراء المعلومات وتفسير المسائل المعقدة وايضاحها وقد تستخدم الأفلام التسجيلية كوسائل ايضاح في الفصول الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات. حيث أنّ تقنيات التصوير في الفيلم الوثائقي تمنح الفيلم قدرات تعليمية هائلة بما يساهم في تعليم المتلقي.
* **وظيفة التسجيل والتوثيق**: تعد من الامور الهامة ولهذا تعد هذه الوظيفة جزءا من عملية التوثيق والتسجيل الإعلامي، إذ تستخدم الأفلام الوثائقية في تسجيل الأحداث والوقائع وتوثيقها من البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية واستخدامها كوثيقة تاريخية تسجل مولد الحدث. والتوثيق عبارة عن جمع المعرفة المسجلة وتوفيرها وبثها، تعد وظيفة التسجيل والتوثيق من الأمور الهامة في عملية التوثيق والتسجيل الإعلامي وغالبا ما تكون هذه العملية من أوليات اهتمام المؤسسات الحكومية التي تهتم ببحوث التاريخ.

**خاتمة:**

كمحصلة نهائية، يظهر جليا أهمية التغلل في مفهوم الفيلم التسجيلي، لفهم هذا النوع من الأفلام، ونتبيّن أهميته ونقف على وظائفه، لنتحكم في المصطلح جيدا قصد توظيفه بشكل سليم في مختلف الأبحاث الأكاديمية وحتى التحليلات الإعلامية المختلفة، وعليه نستنتج أنّ الوقوف على المفهوم بكلّ متغيراته، يعتبر لبنة أساسية ومهمة للتحكم في أي موضوع كان.

1. هاشم النحاس، ماهية الفيلم التسجيلي/الوثائقي، مواقع شبكة الجزيرة، نقلا عن :

   <http://doc.aljazeera.net/magazine/2012/12/201212301273895676.html>

   تاريخ التصفح: 01/04/2015. التوقيت:11:45. [↑](#footnote-ref-1)
2. الفيلم التسجيلي، نقلا عن: <http://masscomm.kenanaonline.net/posts/141112>

   تاريخ التصفح: 01/04/2015. التوقيت: 12:00. [↑](#footnote-ref-2)
3. غادة جبارة، مدارس واتجاهات السينما التسجيلية، مواقع شبكة الجزيرة، نقلا عن:

   <http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/200962484920587295.html>

   تاريخ التصفح: 01/04/2015. التوقيت: 12:10. [↑](#footnote-ref-3)
4. تحديد مفهوم الفيلم الوثائقي، موقع بدايات، نقلا عن:

   <http://bidayyat.org/ar/opinions_article.php?id=65#.VTLf1yF_Oko>

   تاريخ التصفح: 02/04/2015. التوقيت: 12:30. [↑](#footnote-ref-4)
5. على عزيز بلال، **الفيلم التسجيلي التلفزيوني من الفكرة إلى الشاشة**، (وزارة الثقافة: الهيئة العامة السورية للكتاب)، نقلا عن: <http://www.syrbook.gov.sy/img/uploads1/library_pdf20140428100147.pdf> [↑](#footnote-ref-5)
6. الفروق الأساسية بين منهجي الفيلم الروائي والفيلم التسجيلي، نقلا عن:

   <http://www.forum.topmaxtech.net/t348.html> تاريخ التصفح: 01/04/2015. التوقيت:12:05 [↑](#footnote-ref-6)
7. أسماء وهبة، "السينما الوثائقية صناعة بلا جمهور"، **مجلة تحولات**، العدد الثاني والأربعون، جوان 2009.نقلا عن:

   <http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449>

   تاريخ التصفح: 02/04/2015. التوقيت: 13:00. [↑](#footnote-ref-7)
8. الفيلم السينيمائي أنواعه، وأهميته، وخصائصه، نقلا عن:

   <http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/Founoun/sec04.doc_cvt.htm>

   تاريخ الإطلاع: 02/04/2015. التوقيت: 12:30. [↑](#footnote-ref-8)
9. نهلة عبد الرزاق عبد الخالق رشيد، دراسة تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية للمدة من 01/04/2001 ولغاية 30/04/2011، **مجلة كلية الاداب**، العدد 97، نقلا:

   <http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=73475> ص ص 417،418. [↑](#footnote-ref-9)